الكنعانيون (الفينيقيون) دويلاتهم ومنجزاتهم

الكنعانيون من الأقوام الجزرية التي استقرت في سواحل بلاد الشام ونراهم منذ زمن بعيد في الساحل الجنوبي ويتقدمون نحو الشمال منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وكأبعد حد منطقة اوغاريت(رأس شمرا) .

ان الكنعانيين والآموريين قبيلة واحدة استقرت في بلاد الشام جنبا الى جنب الأ ان الأختلاف الموجود يرجع بالدرجة الأولى في استيطان كل منها في قسم من بلاد الشام حيث تم التأثر بالحضارات التي سبقتهم في المنطقة فالآموريين تأثروا بالحضارة العراقية القديمة أما الكنعانيون فتأثروا وأثروا في الحضارة المصرية القديمة .

اسم الكنعانيين مأخوذ من الكلمة الجزرية القديمة ذات الجذر(كنع) والتي تعني الأرض الواطئة بالأشارة الى موطنهم أي الساحل وكان اسم كنعان يطلق في أول الأمر على الساحل والقسم الغربي من فلسطين ولكنه استعمل بعد ذلك ليشمل قسما كبيرا من سورية وكل فلسطين (حتى التوراة تطلق على جميع سكان فلسطين اسم الكنعانيين) .

أما كلمة فونكس التي تعني فينيقي بالأغريقية ومعناها الصبغ الأرجواني الذي اشتهر الكنعانيون بتحضيره من الأصداف البحرية ، ومن هنا أطلق الأغريق هذه الكلمة على كل من تاجر معهم من الكنعانيين وهكذا أصبحت كلمة الفينيقيين ترادف كلمة الكنعانيين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد

سكن الكنعانيون في بلاد الشام في قرى ومدن زراعية تطورت الى مدن كبيرة تحيطها الأسوار العالية ذات الأبراج المنيعة حماية من الغزوات الأجنبية ، وقد تمتعت هذه المدن الكنعانية بشئ من الأستقلال عندما ظهرت الأمبراطوريات الثلاث المصرية والأشورية والحثية في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، الأ ان هذا الأستقلال لم يدم طويلا حيث خضعت الدويلات الكنعانية للسيطرة البابلية والمصرية والحثية .

ان هذه المدن الساحلية لم تتوفر لها الظروف الكافية لتكوين دولة كبيرة بل كانت تحت رحمة هذه الأمبراطوريات القوية المتصارعة مع بعضها الى جانب أن هذه الدويلات الكنعانية لم يكتب لها النجاح في التوحيد بسبب امتدادها الى أكثر من 300 كم وصعوبة مواصلاتها البرية التي تعترضها وديان ومرتفعات لذلك توزع السكان فيها على عدد من المدن احتل كل منها موقعا ممتازا للنشاط البحري أو أرض داخلة في البحر ولم يجمع بينها اتحادا وتحالف بل أضعفها التنافر والتنافس اللذان قادهما الى التحارب والقتال أحيانا وخاصة ما بين صور وصيدا .

لقد كشفت التنقيبات عن آثار تلك المدن الكنعانية القديمة في كل من غزة (تعني القوة) وتعرف خرائب المدينة القديمة الآن بأسم (تل العجول) وعسقلان (عسقلون) وأريحا (يريحو بالكنعاني) اي مدينة القمر وبيث شان (بيسان) أي بيت الأله شان ومجدو (مجدون) اي المقطع وعكا (عكو) التي تعني الرمال الحارة وهي عكا الحديثة ومدينة صور (سور أو صور) أي الصخر وصيدا نسبة الى الأله صيدون اله السمك عند الكنعانيين ومدينة جبيل التي لعبت دورا مهما في العلاقات التجارية والسياسية مع الأمبراطورية المصرية في عهد اخناتون .

ان هذه التجزئة السياسية لدول المدن الكنعانية في الشام كان لها أثر كبير في مقاومة الغزو الأجنبي نظرا للتحصينات المهمة من قلاع وحصون دفاعية الا أن ذلك لم يمنع أن تكون فريسة للعدو الخارجي مما حدا بها أن تتمركز في سفوح جبال لبنان للاستفادة من حماية هذه الجبال الطبيعية من خلفها خصوصا في جبل الكرمل وجبل الأقرع وجبل أمانوس في الشمال وهكذا نشأت أهم المدن الكنعانية الدائمية في سفوح لبنان مثل طرابلس وبترونا (البترون) وجبيل وبيروت التي وردت بشكل بيروتا في رسائل تل العمارنة والتي تعني بالكنعانية بئر وكذلك مدينة اورشليم وهو اسم كنعاني مأخوذ من يرو- شالم وشالم أو شلم وهو اسم اله كنعاني بمعنى السلام .

ان هذه المدن الكنعانية لم يكتب لها أن تتوحد الأ أنها كانت تتفق فيما بينها عندما تكون الأخطار محيطة بها فكانت أحداها تتزعم مثل هذه الأتحادات كما حدث لمدينة رأس شمرا في أواخر القرن السادس عشر ق.م وجبيل في القرن الرابع عشر ق.م وصيدا في مطلع القرن الحادي عشر ق.م ثم خلفتها صور التي صارت أقوى الدويلات الكنعانية لا سيما في عهد ملكها حيرام حيث كانت مدينة صور محصنة بسورين كما أنها كانت عبارة عن مدينتين واحدة على الساحل يستوطن فيها المواطنين لأدارة شوؤنهم الأعتيادية كالتجارة والزراعة ، والأخرى قريبة على شكل جزيرة يعتصم بها السكان في أثناء الغزو والأخطار . كذلك أتحدت المدن الكنعانية بوجه الفرعون المصري تحوتمس الثالث وأشتبكت معه في معركة مجدو على نهر العاصي .

عندما عظمت بلاد اشور وخاصة في عهد شلمانصر الثالث دخل الكنعانيون في اتفاق معهم ، وفي زمن الملك الآشوري أسرحدون تحسنت العلاقات بينه وبين الكنعانيين حيث ساعد هؤلاء الاشوريين على غزو مصر من خلال امدادهم بالسلاح والسفن والرجال والمال . وبعد سقوط الأمبراطورية الآشورية عام 612 ق.م وسيادة البابليين على المنطقة دخل الكنعانيون مع الدولة الجديدة بحلف جديد .

ان الظروف السياسية الانفة الذكر لم تسمح للدويلات الكنعانية أن تكون دولة معظمة على غرار الأمبراطوريات التي تهتم بالتوسع والفتح الا أن الكنعانيين تمكنوا من أن يبنوا حضارة راقية قائمة على المحطات التجارية التي كونوها اضافة الى جانب اهتمامهم بالزراعة والصيد والرعي حيث استطاعوا الحصول بواسطة الزراعة على القمح والشعير والشوفان والعدس والباقلاء والكروم والزيتون هذا الى جانب تربية الأبقار والغنم والماعز واستخدوا المحاريث للزراعة وطحنوا الحبوب الغذائية بالرحى الحجرية وخبزوا في تنانير اسطوانية الشكل ونقلوا الماء من الآبار والعيون والجداول .